تشكُّل العربية وحركات الإعراب

محمد علي عبد الجليل[1]

ملخَّص:

إنَّ "العربية" كَلِسانٍ معياريّ هي لُغةٌ وَضَعَ قواعدَها النُّحاةُ المُؤسِّسون [لُغة مِظَلَّة، لسان جامع، لغة مُشتَرَكة] اعتماداً على مَبدَأ "الفصاحة"، أي: المفهومية والوضوح لأكبر عدد ممكن من المتكلِّمين. فاستبعدوا أغلبَ الظواهر اللغوية المحلية أو الإقليمية التمييزية في لَهَجات العرب، أي استبعدوا "اللُّكْنات" المحلّية التي تُعيق صناعةَ لِسانٍ موحَّد. وقد استنَدوا إلى القُرآن والأدب (الشعر الجاهلي وبعض كلام العرب) كمراجعَ نحويةٍ ومُفرداتيةٍ. ثمَّ أضافوا التشكيلَ [حركاتِ الإعراب] كزينةٍ وتسهيلٍ للنُّطق.

كلمات مفتاحية: العربية – لُغة – تقعيد اللِّسان – حركات الإعراب.

Résumé :

La « *ʿarabiyya* » [l'arabe] en tant que langue normalisée est une langue codifiée par les grammairiens fondateurs [langue-toit, dachsprache, langue véhiculaire] sur la base du principe de « l'éloquence », c'est-à-dire de la compréhensibilité et de la clarté pour un plus grand

[1] محمد علي عبد الجليل: باحث سوري مقيم في فرنسا، وُلِدَ في دمشق عام ١٩٧٣ ودَرَسَ في جامعة دمشق حيث حصل فيها على درجة الماجستير في الترجمة عام ٢٠٠٨. ثم حصل على الدكتوراه في الترجمة والإسلاميات من جامعة آيكس–مرسيليا عام ٢٠١٧، حول الموضوع: *Approche polysémique et traductologique du Coran. La sourate XXII (Al-Ḥajj [le pèlerinage]) comme modèle.* [*مقارَبة بوليسيمية وترجماتية للقرآن. سورة الحج نموذجاً*]، تحت إشراف: ريشار جاكمون [Richard Jacquemond]. يعمل كمُدرِّس لغة عربية في جامعة آيكس–مرسيليا (جنوب فرنسا) وكباحث مشارك في معهد الإريمام [IREMAM] (Institut de Recherches et d'Études sur les Mondes Arabes et Musulmans) (معهد البحوث والدراسات حول العالَم العربي والإسلامي).

nombre possible de locuteurs. Ils ont ainsi exclu la plupart des phénomènes linguistiques locaux ou régionaux discriminatoires dans les dialectes arabes, c'est-à-dire ils ont exclu les « accents » locaux qui entravent la fabrication d'une langue unifiée. Ils se sont appuyés sur le Coran et la littérature (poésie préislamique et certains parlers des Arabes) comme références grammaticales et lexicales. Ensuite, ils ont ajouté la flexion désinentielle [voyelles de désinence (déclinaison)] comme décoration et fluidité dans l'élocution.

Mots clés : La *ʿarabiyya* – parler – codification de la langue – flexion désinentielle.

Abstract:

The "*ʿarabiyya*" [Arabic] as a standardized language is a language codified by the founding grammarians [Umbrella language, dachsprache, vehicular language] on the basis of the principle of "eloquence", i.e. comprehensibility and clarity for as many speakers as possible. They thus excluded most of the discriminatory local or regional linguistic phenomena in the Arabic dialects, i.e. they excluded the local "accents" which hinder the production of a unified language. They relied on the Koran and literature (pre-Islamic poetry and certain parlances of Arabs) as grammatical and lexical references. Then they added inflectional ending [vowels of ending (declension)] as decoration and fluency in speech.

Keywords: The *ʿarabiyya* – dialect – codification - vowels of ending.

علَّمونا في المَدارسِ أنَّ اللُّغةَ العربية كانت لغةً مُعرَبةً [مزوَّدة بحركات إعرابية في أواخر كلماتها] وأنها كانت في أوج تَطَوُّرِها عِندَ ظُهورِ الإسلام ثم بدأَت تَفسِد وتتدهور مع الزمن فاقدةً حركاتِ الإعراب مع توسُّع الإسلام واحتكاك العرب المسلمين بثقافات الأُمَمِ المُجاورة. ولكنْ إلى أي مدىً هذه الفرضيةُ صحيحة؟ هل فعلاً كانت العربية إبّانَ ظُهورِ الإسلام لغةً معربة تمتلك في أواخر كلماتها نظاماً إعرابياً يشير إلى موقع الكلمة ووظيفتها في الجملة؟ هل حركاتُ الإعراب (الرَّفع والنَّصب والجَرِّ والجَزم والبِناء) سَليقةٌ وأصيلةٌ فعلاً في العربية وجزء بنيوي من طبيعة العربية؟ ثم ما هي العربية أصلاً؟

قبل أن نتطرَّق إلى حركات الإعراب، من المهم أن نوضح ما هي "العربية" وما مكانتها بين لغات العرب.

لقد أشارَ أبو عَمْرِو بْنِ العَلاءِ البَصريّ (٦٨٩ – ٧٧٠ / ٧٧٤ م)، أحدُ أوائلِ واضعي قَواعد العربيَّة كلغة مِعيارية، إلى كيفية وضع "العربية" من خلال عملية غربلة وانتقاء: سُئلَ أبو عَمرٍو

بن العلاء البَصْريّ (٦٨٩ – ٧٧٠ / ٧٧٤ م) : "**أَخْبِـرْني عَمَّـا وَضَـعْـتَ مِـمَّا سَـمَّيتَ «عَرَبِيَّة»، أَيَدْخُلُ فيه كلامُ العرب كلُّه؟ فقال : "لا" . فقيل : "كيف تَصنع فيما خالفَتْك فيه العَربُ وهُمْ حُجَّة؟" قال : "أَحمِلُ على الأكثرِ وأُسَمِّي ما خالفني «*لُغات*»**" . (السيوطي، *المُزهِر*، ج١، ص ١٨٤ – ١٨٥) .

يَجْدُرُ التَّنويهُ إلى أن "اللغة" كنظام لِسانيّ رسميّ موحَّد جامِع مشترَك بين عدة مناطق معتمَد سياسياً ومُستخدَم في التواصل الكتابيّ كان يُشار إليها بكلمة "لِسان"، بينما كان يُشار إلى التنويعات المحلية المَحكيَّة لهذه اللغة الرسمية الوسيطة المِعيارية بكلمة "لُغة" . حالياً، نستخدم كلمة "لغة" (بدلاً من "لِسان") للدلالة على النظام اللغوي المِعياري المُستخدَم في الكتابة الرسمية، ونَستخدِم كلمة "لَهْجة" [و"لُكْنة"] (بدلاً من "لُغة") للدلالة على التنويعات المحليَّة المَحكيَّة غير الرسميَّة في اللُّغة الواحدة.

الجدير بالذِّكْرِ أنَّ عِلْمَ النقوش أَظْهَرَ حَتَّى الآن أنَّ مَهْدَ نُشوءِ "العربية" هو بلاد الشام وشَمال الحجاز . فأَقدَمُ النقوشِ (كـ"نَقشِ حَرّانِ اللَّجاة" [حوالَي ٥٦٨ م] في جبل العرب جَنوبَ سوريَّةَ و"نقشِ النَّمارة" [نقش امرئ القَيس، بالخَطِّ النَّبَطيّ] [حوالَي ٣٢٨ م] قُرب جبل العرب) [2] كُتِبَت بِلُغة هي الأقرب إلى لُغة القُرآن . كما أشارت النقوشُ أيضاً إلى أنَّ المَلِك جُنْدُبو [جُنْدُب] الَّذي شاركَ في معركة قَرقر (٨٥٣ ق . م .) شَمالَ غَربِ سوريَّةَ ضِدَّ الدَّولة الآشورية هو مَلِكٌ عَربيّ . وكانت مدينةُ أدوماتو [دومة الجَندل] شَمالَ الجزيرة العربية مركزاً سياسياً عربياً أساسياً وعاصمةَ مملكة قَيدارَ العربية (القرن الثامن قبل الميلاد) . والأرجحُ أنَّ العربية الأولى الأُمّ [الأقرب إلى لُغة القُرآن] كانت تُتَكَلَّم في مَملكة الأنباط (١٦٩ ق .م – ١٠٦ ق . م، في صحراء النقب وسيناء والأُردنّ وشَمال شبه الجزيرة العربية)، كما أشار الباحث أحمد الجَلاَّد [3] الذي

---

[2] زكريا محمد، *نقوش عربية قبل الإسلام*، دار الناشر، الأردن، ٢٠١٥، ص ٧ و٩٥ .

[3] من محاضرة لأحمد الجلاد في دار الآثار الإسلامية في متحف الكويت الوطني (٢٠١٩)، منشورة على اليوتيوب : https://www.youtube.com/watch?v=quXrkSV8g3M ؛ https://www.youtube.com/watch?v=dHRbuu8c8nw . أحمد الجلاد (١٩٨٥) باحث أميركي، من أصل عربي، مختص بالتاريخ المُبكِّر للعربية ولغات شمالي الجزيرة العربية، حاصل

أضافَ أنَّ لُغةَ الأنباطِ نَجَت من الانقراضِ بَعدَ انقراضِ مملكتِهم بسببِ كَونِها لُغةً تِجاريةً حِيادية في حين أنَّ الآرامية بَقِيَتْ أَسيرةَ المَعابد.

لِوضْعِ لُغةٍ مشتركة وسيطة عابرة للَّهَجات [أيْ: لِسان يتجاوز اللغاتِ المحلية]، **اعتَمَدَ واضعو اللُّغةِ المعيارية** [**المُشتركة**] **على مَبدأَ الفصاحة، وهو المفهومية والوضوح** لكل الناطقين باللغة بِغَضِّ النَّظرِ عن مناطقِهم ولَهَجاتِهم. فالفصيح، لغةً، هو الصافي الخالص من الشوائب [يُقالُ: "لَبَنٌ فَصيح": بِلا رَغْوة. و"الفَصْح": خُلوصُ الشَّيءِ مِمَّا يَشوبُه.][4] واصطلاحًا: كلام العربِ الواضح كثير الاستعمال [على ألسنة الفُصحاء]. فالفَصاحةُ هي "أنْ يَكونَ اللفظُ على ألسنة الفُصحاء الموثوق بعربيتهم أَدْوَرَ واستعمالُهم له أَكثرَ" (*المُزهِر*، ج١، ص. ١٨٧).

فمِعيارُ الفَصاحة هو كَثرةُ الاستعمال عند متكلِّمين محدَّدين (سُمُّوا بـ"العرب الموثوقين" أو "الفُصحاء الموثوق بعربيتهم")، وعلى الأرجح هُم النُّخبة النافذون في السلطة السياسية، فعلى سبيل المثال، اعتُبِرَ النبي محمَّد أفصحَ العرب واعتُبِرَت قريش وتميم وثقيف ومُضَر أفصحَ القبائل

على الدكتوراه في لغات الشرق الأدنى وحضاراته (جامعة هارفرد، ٢٠١٢). عَمِلَ مُحاضراً في جامعة لايدن، هولندا (٢٠١٣ – ٢٠١٨)، وانتقل مؤخَّراً للعمل في جامعة ولاية أوهايو في الولايات المتحدة الأمريكية.

[4] ربطَت الباحثة اللغوية جورجين أيوب (معهد الإينالكو INALCO في باريس) (في مقالها: « Un idiome harmonieux et pur: Le trésor enseveli » ["لُغة متناغمة ونقيَّة. الكَنز المدفون"]) بين الجذر العربي لكلمة "فَصيح" ومعنى "الفِصح" العبري معتبرةً أنّ "الفَصيح" والفِصح" من جَذرٍ ساميٍّ واحدٍ، مشيرةً إلى أنَّ الكلمتين تشيران إلى فكرة العبور الإيجابي من الظلمة إلى النور ومن العبودية إلى الحُرّية. وعلى ما يبدو، لا علاقةَ دلاليةً بين جَذْرِ "الفَصيح" (وهو "الـفَـصح" [بفتح الفاء] بمعنى: *الصفاء*) وبين "الـفِـصح" [بكسر الفاء] (العيدِ اليهودي والمسيحي، بمعنى: *العُبور*). فـ"الـفَـصح" العربيّ [أو "الـفَـصاحة"] هو "الخُلُوّ من الشّوائب"، وبالتالي هو: "الصَّفاء" و"الوُضوح". أمّا "الـفِـصح" العبريّ (من العبرية: פֶּסַח پـيـسَـح) فهو "العُبور" [من أرض العبودية إلى أرض الحُرّية] والقَفز والخَطو بخطواتٍ واسعة. وربما يقابلُ الجَذرُ العبريُّ لِـلـفِـصح (وهو "پـيـسَـح": عُبور، قَفْز، تجاوُز) الفعلَ العربيَّ: "فَـسَحَ يَـفْـسَح" [خَطَا خُطُوَاتٍ مُتَبَاعِدَةً، أيْ: قَفَزَ]. [فصُحَ يَفصُح فَصْحًا وفَصَاحَة فهو فَصْحٌ (والجمع: فِصاحٌ) وهو فَصيح (والجمع: فُصَحاءُ) وهي فَصيحة (والجمع: فَصَائحُ). فصُح الرَّجلُ: جادت لغته وكان كلامه واضحًا. فَصُحَ اللَّبنُ: خَلُصَ مِمَّا يَشُوبُهُ، أَيْ أُخِذَتْ رَغْوَتُهُ وبَقِيَ خَالِصُهُ.]

لأسباب سياسية واقتصادية فهي أقوى القبائل. قال أبو عمرو بن العلاء: "أفصح العَرَب عُليا هوازن وسُفلى تميم"، ولَمْ يَذْكُرْ قُريشاً.

لصناعة اللسان العربي الموحَّد (الّذي سُمِّيَ "العربيَّة") انطلاقاً من عِدَّة لَهَجاتٍ من لَهَجات العَرَب، استبعدَ النحاةُ المؤسِّسون بادئ ذي بدء **أغلبَ الظواهر اللغوية المناطقية** [المحلية أو الإقليمية] المميِّزة [التمييزية] في لَهَجات العرب (أي **استبعدوا "اللُّكْنات" المحلّية التي تُعيق توحيدَ اللِّسان وتقعيدَه**) واعتبروها لغاتٍ رديئةً مذمومة قبيحة؛ وهي لهَجات ما زالَ بعضُها مستخدَماً حتى اليوم. ومن هذه اللُّكْنات [أو اللَّهَجات] (بحسب *المُزهِر* للسيوطي، ج١، ص ٢٢١-٢٢٢):

١- الكَشكَشة [إبدال كاف المخاطَبة صوت "تْش"] (لُكْنة قبيلة أَسَد وربيعة ومُضر وتميم) (مثال: "رأيتُـكْشْ" [="رأيتُـكَ"])؛

٢- الكَسكَسة [قَلْب كاف المخاطَبة سيناً] (لُكْنة ربيعة ومضر) (مثال: "عَلَيـكْسْ" [="عليـكَ"])؛

٣- العَنعَنة [قَلب الهمزة الأوّليّة عَيناً] (لُكْنة تَميمٍ) (مثال: "عَـسلَم" [="أَسْلَمَ"])، "عَـنَّ" [="أَنَّ"])؛

٤- الفَحفَحة [قَلْب الحاءِ عيناً] (لُكنة هُذيل) (مثال: "عَـتَّى عَـلَـتِ الـعَـياة لِكُلِّ عَـيٍّ" [="حَـتَّى حَـلَـتِ الـحَـياةُ لِكُلِّ حَـيٍّ"])؛

٥- العَجعَجة [قَلب الياء المشدَّدة جيماً] (لُكْنة قُضاعة) (مثال: "تَميمِـجّ" [="تَميمِـيّ"، بالعَشِـجّ [="بالعشـيّ"]) (وهناك ظاهرة عكسية وهي تَحَوُّل الجيم إلى ياء، في بعض الكلمات (مثل: "أويّ" [="أوج"، أي القِمَّة) و"مَسـيـد" [="مَسـجِـد"]))؛

٦- الشَّنشَنة [قَلْبُ كافِ آخرِ الكلمة شيناً] (لُكنة في اليمن) (مثال: "لَبَّيـشْ")؛

٧- الوَكْم [كَسْر كاف المخاطَب المسبوقة بياء أو كَسرة] (لُكْنة ربيعة) (مثال: "عَلَيـكِـم")؛

٨- الوَهْم [كَسْر حتَّى ولو لم يكُنْ قبلَها كَسرة] (لُكنة كَلب) (مثال: "عنـهِـم")؛

٩– والوَتْم [قَلْبُ السِّينِ تاءً] (لُكنة في اليمن) (مثال: "١–يا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّعْلاتِ، * عَمْرِو بْنِ يَربُوعٍ شِرارِ النَّاتِ [=النَّاسِ]. ٢– لَيْسُوا أَعِفَّاءَ ولا أَكياتِ [=أكياسِ][5]." [عَلْباءُ بنُ أَرقَمَ])؛

١٠– الخَرم[6] [زيادة حرف في الكلام] (مثال: "ولا لَـلَما بِهِمْ أبدًا دواءُ." [زيادة اللام]؛ "وصالياتٍ كَـكما يُـؤْثَـفَـيْـن"[7] [زيادة الكاف])؛

١١– الاستنطاء [قلب العين الساكنة نوناً] (لُكنة هذيل وسعد بن بكر) (مثال: "أَنْـطى" [=أَعْـطَى"])؛

١٢– اللَّخلَخانية [حَذف حَرفٍ أو دمجه في الذي يليه] (لُكنة الشِّحر وعُمان) (مثال: "مَشاللّٰه" ["=ما شاءَ اللّٰه"])؛

١٣– الطُّمْطُمانية[8] [إبدال "الـ" التعريف "أَمْ": "أَمْـهواء" [=الـهَواء"]] (لُكنة حِمْيَر في اليمن) (مثال: "ليسَ مِنْ أَمْـبِرِّ أَمْـصيامُ في أَمْـسَفَرِ" ["ليسَ مِن الْـبِرِّ الـصِّيامُ في الـسَّفَرِ"] (حديث نبويّ أخرجَه الطبراني والبيهقي)؛ وفي العامية السورية: اِمـبارح/اِمـبارحَة [الـبارحة])؛

١٤– العجرفية [الثِّقَل في الكلام ولعلها طلب الغريب من الوحشي من الكلام] (لُكْنَتَا قَيسٍ وضَبَّةَ) (لَمْ يُقدِّم النُّحاةُ أمثلةً عليها)؛

---

[5] "**أَكياسٌ**" (و"كِيْسٌ"): لَبِقونَ، لَطيفون، مُؤَدَّبون، ظُرَفاء، أَذكياء. وهو **جمعُ** "**أَكْيَسُ**" [المؤنَّث: "كُوسَى" و"كِيْسَى"، وجَمعُ المُؤَنَّث: "كُوسَيَاتٌ" و"كُوسَى"]: **اسمُ تفضيلٍ من "كاسَ يَكِيسُ كِسْ كَيْسًا وكياسةً"** بمعنى: "ظَرُفَ" و"فَطُنَ" فهو "كَيِّسٌ" و"أَكْيَسُ". و"كَاسَ" إِخْوَتَهُ: غَلَبَهُمْ بِالكِيَاسَةِ. و"كاسَ" الشّخصُ: "عقَلَ" (ضدّ "حَمُقَ"). "**الْـكَـيِّـسُ** مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ." (حديث).

[6] بينما يُشير "الخَرم" في عَروض الشِّعرِ إلى نقص. "الخَرم" هو إسقاطُ المتحرِّك الأوَّل مِن الجزء الأوَّل من البيت. أمّا "الخزم" (بالزاي) فهو مِن عِلل الزيادة، وهو زِيادة تلحق أوَّل صدْر البيت أو أوَّل العجُز، وتتمثَّل في زيادة حرْف أو حرفين أو ثلاثة، وأقْصى زيادة أربعة أحرف.

[7] هذا الشطر لرؤبة بن العجَّاج أو لِخطام المجاشعي. صاليات: صفة الأثافيّ [أحجار المَوقِد] أو صفة للنساء المُوقِدات للنار. يُؤْثَفَينَ: يُثْفَينَ، يُوضَعن كالأثافي للقِدر.

[8] الطَّمْطَمة في اللغة: العُجْمة و(الطِمْطِم) والطِّمْطِمي والطُّماطُم والطُّمْطُماني الأعجم الذي لا يفصح. ويقال: "في لسانه طُمطُمانية"، أيْ: عُجْمة.

١٥– التَّـلـتَـلة [كسر حرف المضارَعة في أول الفعل] (لُكْنة بَـهْـراء) (مثال: "يِـعرَف")؛
١٦– لفظُ الكاف جيمًا ("الـجَـعبة" "الـكَـعبة"]).

هذه اللَّهَجَات [أو اللُّكْنات] استُبعدَت من اللغة الموحَّدة المعيارية الرسمية العابرة للَّهَجات لأنها لَهَجات مَحَلِّية مَناطقية قَبَلية تعدُّدية تُؤكّد الانتماءات المتعدّدةَ والمحدودةَ غَيرَ المحمودة للمناطق، وبالتالي تُخالفُ رُوحَ توحيد اللغة وتَبتعدُ عن لُغة النُّخبة ولغة الحاكم. والّذي يتكلّم بلهجته المحلّية في الفضاء العام أو أمام الحاكم يُصبح مدعاةً للسُّخرية (كما أكّدَت جورجين أيّوب في مقالها *« Le tout de la langue ou le malheur de l'infini : Une étude de la Durrat al-ghawwaṣṣ de Ḥarīrī »* ["كُلّيّة اللُّغة أو مُصيبة المُطْلَق: دراسة في *دُرَّة الغوَّاص* للحريري"]). لقد ضَحِكَ عبدُ المَلك بنُ مَروان كثيراً على لَيلَى الأَخْيَلِيَّةَ عندما قالَتْ للشَّعبيّ بلَهْجة قبيلتها [التَّلْتَلة، كَسْر حُروف المُضارَعة]: "وَيْحَكَ أَمَا نِـكْـتَـنِـي؟!" [بكَسْرِ نُون المُضارِع، بَدلاً مِنْ «نَـكْـتَـنِـي» [أيْ: نَتَكَنَّى]]، وَرَدَّ علَيها الشَّعبيُّ ساخِراً مُحَمِّلاً الفعلَ مَعنى: "نَكَحْتَني": "لَوْ فَعَلْتُ لاغْتَسَلْتُ"؛ فخَجِلَتْ هي من إظهارها لانتمائها اللغويّ القَبَلِيّ.[9]

---

[9] **تَلْتَلةُ بَهْراءَ: طُرفةُ لَيلى الأَخْيَلِيَّة وَالشَّعبيِّ عِنْدَ عَبْد المَلك بْن مَروانَ**: رَوَى الحَريريُّ (المُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٢٢ م.) في *دُرَّة الغَوَّاص*، وَالبَغْداديُّ (المُتَوَفَّى سَنَةَ ١٦٨٢ م.) في *خِزانة الأَدَب*: «أَمَّا تَلْتَلةُ بَهْراءَ فَيَكْسِرونَ حُرُوفَ المُضارَعة، فَيَقُولُونَ: "أَنْتَ تِعْلَمُ" [بَدلاً مِنْ: "أَنْتَ تَعْلَمُ"]. وَحَدَّثَني أَحَدُ شُيوخي أَنَّ لَيلَى الأَخْيَلِيَّةَ مِمَّنْ كانَتْ تَتَكَلَّمُ بِهَذه اللُّغة، وَأَنَّها اسْتَأْذَنَتْ ذاتَ يَومٍ عَلَى عَبْد المَلك بْن مَروانَ وَبَحَضْرَته الشَّعبيُّ [عامِرُ بْنُ شَراحيلَ]، فقالَ لَهُ: "أَتَأْذَنُ لِيْ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ فِيْ أَنْ أُضْحِكَكَ مِنْها؟" قالَ: "افْعَلْ!" فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِها الْمَجْلِسُ قالَ لَها الشَّعْبِيُّ: "يا لَيْلَى ما بالُ قومِك لا **يَكْتَنُونَ**؟" [أَيْ لا يَحملونَ "كُنْيَةً"، لا يَتَسَمَّونَ بِـ"أَبي فُلانٍ"] فقالَتْ لَهُ: "وَيْحَكَ أَمَا نِـكْـتَـنِـي؟!" [بِكَسْرِ نُون المُضارِع، بَدلاً مِنْ «نَـكْـتَـنِـي» [نَتَكَنَّى]] فقالَ: "لا وَاللهِ، وَلَوْ فَعَلْتُ لاغْتَسَلْتُ". فَخَجِلَتْ عِنْدَ ذَلكَ وَاسْتَغْرَبَ عَبْدُ المَلك في الضَّحك.» (*دُرَّةُ الغَوَّاص فِي أَوْهامِ الْخَوَاصِّ*، أبو مُحَمَّد القاسم الحَريريّ. *خِزانةُ الأَدَب وَلُبُّ لُباب لِسان العَرَب*، عَبدُ القادِر بْنُ عُمَرَ البَغداديُّ).

فاستبعادُ اللَّهَجاتِ كان هدفُه صناعةَ اللِّسانِ المُوحَّدِ والمُوَحِّد، وقد أشار اللُّغويّ أحمد عَلَم الدين الجندي (١٩٢٤ – ٢٠١٥) إلى ذلك بقوله: "وربما كان من أسباب إهمال اللَّهَجات العربية وعدم تسجيلِها «أنَّ المملكة العربية حينما اتَّسَعَت كان لا بدَّ لضمان وحدتها والقضاء على عوامل التفرقة فيها ألاَّ تُعطى اللَّهَجاتُ العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل ويُباعِد بينَها – فأُهمِلَ أمرُها» [*في اللهجات العربية*، إبراهيم أنيس]." (الجندي، *اللهجات العربية في التراث*، ص ١١٧ – ١١٨).

كما اعتُـمِدَ لوضعِ "العربية" (تقعيد العربية كَلِسانٍ معياري [codification, koinéisation]) **على المَصادِرِ التالية: القُرآن والأدب (الشعر الجاهلي وبعض كلام العرب).**

(١)– القُرآن: يبدو أنَّ القرآن كان الإجراءَ السياسي واللغوي الرسمي الأهم وربما الأول في سبيل صناعة لغة معيارية وسيطة بين القبائل، أي أنه كان الخطوة الرسمية المكتوبة لتوحيد اللهَجات. القرآن لِسانٌ عربي، أيْ وُضِعَ بِعِدَّةِ لَهَجات عربية. كان القُرآنُ المَرجعَ الأساسيّ لتقعيد اللِّسان المعياري. إذ اعتَبَرَ واضعو "العربية" [اللِّسانِ العربيِّ المعياري] أنَّ كلَّ ما وَرَدَ في القرآن فصيح وإن خالفَ القياسُ (كالفعل "اسْتَحْوَذَ"[10]). (*المُزهِر*، ج١، ص ١٨٨). والأرجح أنَّ النص القرآني قد شُغِلَ عليه ومَرَّ بِعِدَّة مراحلَ وخضعَ لتعديلات وغَربلاتٍ وانتقاءات. فقدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قولُه: "لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: قَدْ أَخَذْتُ القُرْآنَ كُلَّهُ، وما يُدْرِيهِ ما كُلُّهُ؟ قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، ولكِنْ لِيَقُلْ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَا ظَهَرَ مِنْهُ." . ويرى المُستعرِبُ الألماني كارل فولَّرس [Karl Vollers] (١٨٥٧ – ١٩٠٩ م) أن النص الأصلي للقرآن قد كُتِبَ بإحدى اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، والتي لا يوجد فيها كما لا يوجد في غيرها تلك النهايات المُسَمَّاة بـ"الإعراب"، وأنه انتقلَ إلى هذا النص فيما بعد؛ ويرى فولَّرس أن العربية الفصحى التي رواها لنا النحويون العرب مصنوعةً ولَمْ تَكُنْ حَيَّةً في مكَّةَ على عهد النبي محمد. (نقلاً عن رمضان عبد التوَّاب، *فصول في فقه العربية*، ١٩٩٩، ص ٣٧٧ –

[10] بمعنى "غَلَبَ"، في الآية: " اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ" (السورة ٥٨ [المجادَلة]، الآية ١٩)، والقياس أن يُقالَ: "اسْتَحاذَ" على غِرار: "اِستَعاد".

٣٧٨، وصبحي الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، ٢٠٠٩، ص ١٢٢). يُشير السيوطي (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) (في *الإتقان*، ص ٢٨٦) إلى جهود الانتقاء ومراعاة عِدَّة لهَجات؛ فيقول إنَّ القرآن نَزَلَ على سَبعِ لُغاتٍ [=لَهَجات] منها خمسٌ بلغة العَجُز من هوازن [عُليا هوازن] (سَعد بن بكر، جُشَم بن بكر، نصر بن معاوية، ثقيف)، وإنَّ كَتَبة المَصاحف قد اختيروا من أفصح العرب (مُضَر وقُرَيش وثَقيف) [قال ابن مسعود: "يُستَحَبُّ أنْ يكونَ الذين يكتبون المصاحفَ من مُضَر"؛ وقال عُمَرُ: "لا يُمْلِيَنَّ في مصاحفنا إلا غِلمانُ قُريشٍ وثَقيف"]، وإنَّ في القُرآن من اللُّغات خَمسين لُغةً (لَهْجةً ولُغةً [لساناً]). وقد استخدَمَ القُرآنُ ضِمن منظورٍ توحيديّ عِدَّة لهَجات للإيفاء بالمعنى ولِغَرَض السَّجْع أيضاً (مثال: "والرَّيحانُ" [سورة الرحمن، ١٢] [11]

---

[11] من الواضح في الآيتَين ١٢ و١٣ من سورة الرَّحمن أنَّ كلمةَ «الرَّيْحَان» [=الرِّزق] قد استُخدِمَت هنا كفاصلة [سجع، قافية في القُرآن] لكي تتماشى صوتياً مع فواصل السورة: [١٢] «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ. [١٣] فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.» وهذا رأي شخصي لِكاتب المقال تدعمه شواهدُ مذكورة أدناه. (أمَّا كلمةُ «رَيحان» (بمعنى: "الرِّزق") في الآية: «فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» [الواقعة، ٨٩] فلا يبدو أنها استُخدِمَت لغرض السجع بل على الأرجح لغرض موسيقيّ وجناسيّ كي تتناسَب صوتياً مع الكلمة السابقة «رَوْحٌ».)

يشير السيوطي (في *الإتقان*، النوع ٣٧ "فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز") إلى أنَّ عبارة "وزوَّجناهُم بِحُورٍ عِيْنٍ" [الدُّخان، ٥٤] (بدلاً من: "وزوَّجناهُم حُوراً عِيْناً") هي لُغة يمانية غير حجازية. لكنْ لماذا اختار القرآنُ في هذا الموضع تحديداً هذه اللُّغةَ التي تستخدم حرف الجر "الباء" مع الفعل "زَوَّجناهم"؟ لِنُلْقِ نظرةً على فواصل الآيات قبلَ هذه الآية وبعدَها: "[٥٠] إنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ [٥١] إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ [٥٢] فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [٥٣] يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ [٥٤] كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ [٥٥] يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ." نلاحظ أنه لو استخدمَ اللغة الحجازية ("وزوَّجناهُم حُوراً عِيْناً") لَفَقَدَ الفاصلة [السجع] وأضاع شيئاً من الموسيقا. فاختيار حرف الجر كان لسبب موسيقي بحت. لنقارنْ أيضاً بين هاتَين الآيتَين لنرى لماذا استخدمَ الفعل "كان": "إنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ." (الحج، ١٧) / "إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شيءٍ شهيداً". (الأحزاب، ٥٥) إن استخدامه للفعل "كانَ" يبدو فقط للحصول على فاصلة منصوبة تنسجم مع بقية فواصل السورة: "[٥٤] إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. [٥٥] لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا. [٥٦] إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. [٥٧] إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا." وهذا يعني أن السجع [الأثر الموسيقي] هو السبب وراء اختيار الفعل "كان". (محمد علي عبد الجليل، *Approche polysémique et traductologique du Coran. La sourate XXII (Al-Ḥajj [le pèlerinage]) comme modèle.* [*مقارَبة بوليسيمية وترجماتية للقرآن. سورة الحج نموذجاً*]، أطروحة دكتوراه، جامعة آيكس–مرسيليا، ٢٠١٧. تحت

[والرَّيحان هو الرِّزق بلغة حِمْيَر أو همذان]). فقد أشار السيوطي (*المُزهِر*، فصل "معرفة تداخُل اللغات") إلى أنَّ العربي يمكنه أنْ يَستخدِمَ للمعنى الواحد عدة كلمات من لَهَجاتٍ غَيرِ لَهْجته لَغَرضٍ موسيقيّ (الشِّعر) أو للإيفاء بالمعنى. فللقائلِ الخِيارُ في القول: "**رَ**غوةُ" اللَّبن، و"**رُ**غوتُـ"ـه، و"**رِ**غاوَتُـ"ـه، وله أن يختارَ بين هذه اللَّهَجات: "**من عَ**لِ"، و"**من عَ**لُ"، و"**من عَ**لا"، و"**من عُ**لْو"، و"**من عِ**لْو"، و"**من عَ**لْوُ"، و"**من عَ**الٍ"، و"**من مُ**عالٍ".

لقد قامت عمليةُ تقعيد "العربية" [صناعة اللِّسان العربي المعياري] **على غربلة التعدُّد اللُّغوي** الهائل **غيرِ المُنضبط** وعلى الحَصر والاستبعاد والانتقاء، **فاتَّجهتْ هذه العمليةُ من الفَلَتان إلى الانضباط** ومن الفوضى إلى النظام **ومن الكثير إلى القليل**. فما سُجِّلَ من لُغات العَرَب عندَ وَضْعِ "العَرَبيَّة" كلسان معياري مُشترَك قليلٌ جداً. قال السيوطي (*المُزهِر*، ج١، ص ٢٤٩): "قال أبو عَمْرِو بْن العلاء: «**ما انتهى إليكم مِمَّا قالت العربُ إلاَّ قُلَّه** [**أَقَلُّه**]»." ومِمَّا يُشير إلى التعدُّد غير المنضبط القصة التي رواها الأصمعيُّ عن رَجُلَين اختلفا في لفظ كلمة "**الصَّقْر**"، فقال أحدُهما إنَّها تُلفَظُ بالصَّاد ["**الصَّقْر**"]. بينما قالَ الثَّاني إنَّها تُلفَظُ بالسِّين ["**السَّقْر**"]. فاتَّفقا على أنْ يَحتكِما إلى أوَّلِ امْرئٍ يَرِدُ عليهما. فجاءَ رَجُلٌ فسألاهُ: "هل "**الصَّقْر**" بالصَّادِ أَمْ بالسِّين؟" فقال: "لا، بل بالزَّاي ["**الزَّقْر**"]."

إشراف: ريشار جاكمون [Richard Jacquemond]، تاريخ المناقشة: ٢٣/١١/٢٠١٧، ص ١١٢ – ١١٣.) أطروحة محمد علي عبد الجليل ومعلومات عنها (بالفرنسية) متوفِّرة على الروابط التالية:

1. Site « scanR, moteur de la recherche et de l'innovation »: https://scanr.enseignementsup-recherche.gouv.fr/publication/these2017AIXM0348 ;
2. Site du Système universitaire de documentation (SUDOC) [النظام الجامعي للتوثيق]: http://www.sudoc.abes.fr/cbs/xslt/DB=2.1//SRCH?IKT=12&TRM=233031707&COOKIE=U10178,Klecteurweb,D2.1,Ea2c700f3-0,I250,B341720009+,SY,QDEF,A%5C9008+1,,J,H2-26,,29,,34,,39,,44,,49-50,,53-78,,80-87,NLECTEUR+PSI,R79.87.169.183,FN ;
3. Site de l'islamologue Mehdi Azaiez de l'Université de Lorraine (soutenance de thèse) :
4. https://www.mehdi-azaiez.org/Defense-of-Mohamed-Ali-ABDEL-JALIL-Approche-polysemique-et-traductologique-du .

(راجع أيضاً: "أخطاء القرآن اللغوية والإنشائية: قراءة تفكيكية"، محمد علي عبد الجليل، معابر، حزيران، ٢٠١٤ (http://maaber.50megs.com/issue_june14/spotlights1_a.htm ؛ الحوار المتمدن، العدد: ٤٤٤٧، ٨/٥/٢٠١٤، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=413887&r=0).

فباستثناء الكلمات المُجمَع عليها في القبائلِ المأخوذِ عنها اللسانَ (التي لا اختلافَ فيها في بناء ولا حركة، وهي الأكثر)، مثل: "الحَمْد" و"الشُّكر"، هناك كلمات لها طُرُق كثيرة جداً في اللفظ حسب اللهَجات. ما فعله صُنّاعُ العربية هو أنهم استبعدوا طُرُقاً في النطق قليلة الانتشار في القبائل التي أخذوا عنها وأبقَوا على الطرق اللفظية كثيرة الاستعمال. فمِن بَينِ الكلمات: "**بغداد**" و"**بغداذ**" و"**بغدان**" قَبِلوا "**بغداد**" فقط. ومِن الفِعلَينِ المُستَخدَمين "**غَوِيَ يَغْوَى**" و"**غَوَى يَغْوِيْ**" [بمعنى: ضَلَّ] اختاروا الثاني بناءً على استخدام القُرآن ("وَمَا **غَوَى**" [النَّجم ٢]) وبعضِ البَدوِ من العَرَب (الّذين يَستَخدِمون "**غَوِيَ يَغْوَى**" بمعنى: سَئِمَ الرَّضاعَ أو مُنِعَ منه فهَزُلَ[12]). قال السيوطي (*المُزْهِر*، ج١، ص ٢٢٥): "قال ابنُ دُرُسْتَوَيْه في شرح *الفَصيح*: قولُ العامَّةِ "**غَوِيَ يَغْوَى**"[13] على وَزْنِ "**جَهِلَ يَجْهَلُ**"، خَطأٌ، أو لُغة رديئة".

وأمّا الكلمات التي أبقَوا على أكثر من طريقة نُطقية [لُغة] لها فَقَدْ بَقيَ منها مع الزمن طريقةٌ واحدة فقط. فمِن بينِ الكلمتَين المعتمدَتين ("**حَصاد**" و"**حِصاد**") بقيت الكلمة الأولى المفتوحة. ومِن بينِ اللغات الثلاث ("**زُجاج**" و"**زَجاج**" و"**زِجاج**") لم يبقَ إلاَّ "**زُجاج**". ومِن بين اللغات الأربع ("**صَداق**" و"**صِداق**" و"**صَدَقة**" و"**صُدُقة**") بقيت كلمة "**صَدَقة**". ومن بين

---

[12] ذَهَبَ الأَصمعيُّ إلى تَخطئة مَن يقولُ: "**غَوِيَ يَغْوَى**" [بمعنى: "ضَلَّ"، ضِدَّ "رَشَدَ"]، بوزن: "فَرِحَ يَفْرَحُ"، و"جَهِلَ يَجهَلُ"، و"خَسِرَ يَخْسَرُ"، [والصواب: **غَوَى يَغْوِيْ**] ("ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا **غَوَى**" [سُورة النَّجم، ٢]). ففي *إصلاح المنطق*: «وتَقولُ: "**غَوَيْتُ أَغْوِي غَيًّا وغَوَايَةً**"، قال الأصمعيُّ: "لا يُقالُ غيرُه". وإنَّما يُقال على هذا الوزن: "**غَوِيَ الفَصيلُ يَغْوَى غَوىً**" إذا بَشِمَ وَلَدُ الناقةِ مِن اللَّبَن [تَخِمَ منه وسَئِمَه] أو مُنِعَ الرَّضاعُ فضعُفَ وهَزُلَ واعتَلَّ. و"غَوَّى" اللَّبَنَ: صَيَّرَهُ رَائِبًا.

[13] هناك خطأ طِباعيّ في الكِتاب («*المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها*»، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك وآخَرين، ج ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٢٥) ولَمْ يستطعْ مُحَقِّقو الكِتاب أنْ يُصَوِّبوهُ فقالوا (ص ٢٢٥): «لَمْ نَقِفْ على ضَبط هذه العبارة». **العبارةُ ليست** "**نَحْوِيٌّ لُغَوِيّ**" **بلْ** "**غَوِيَ يَغْوَى**" **على وزْنِ** "**جَهِلَ يَجْهَلُ**"، كما جاء في *تصحيح الفصيح وشَرحِه* لابن دُرُستَوَيْه (وزارة الأوقاف المصرية، ت. محمد بدوي المختون ورمضان عبد التوّاب، القاهرة، ٢٠٠٤)، وكما وَرَدَ في *مُعجَم الصواب اللغوي في أبنية الأفعال* (الجزء الأول: الفعل لثلاثي المجرَّد، مجيد خير الله الزاملي [جامعة واسط العراق] دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥، ص ٦٢).

اللغات الخمسُ ("**شَمال**" و"**شَمْـل**" و"**شَمْأَل**" و"**شَيْمَـل**" و"**شَمَـل**") بقي لفظُ "**شَمال**" . وهناك كلمات استُبعِدَت من اللغة المعيارية الأُولى ولكنّها تُستَخدَم في اللغة المعيارية المعاصِرة، مثل: "**مـالِـح**" [وفصيحُها: "**مِـلْح**"]، و"**زَوجَـتـي**" [وفصيحُها: "**زَوجي**"]، و"**مِـزْراب**" [وفصيحُها: "**ميزاب**"]، و"**وَتَـد**" [وفصيحُها: "**وَتِـد**"]، و"**وحْـل**" [وفصيحُها: "**وَحَـل**"]، و"**نَـمـا يَـنْـمُـو**" [وفصيحُها: "**نَمَى يَنْـمِـي**"].

إنَّ الفكرة السائدة القائلة بأنَّ القُرآن نزل بلُغةِ قُريشٍ غيرُ دقيقةٍ. وإذا قبِلْنا أنَّ القرآن قد وافقَ لَهْجةَ قُريشٍ بصورةٍ أكبر فربَّما مَرَدُّ ذلك إلى أنَّ هذه اللهْجة قد أصبَحَت هجينةً مُركَّبةً من عِدَّة لهَجاتٍ. قال السيوطي: "وقال أبو نصرٍ الفارابي في أوَّلِ كِتابِه المُسَمَّى بـ«*الألفاظ والحروف*»: "كانت قُريشٌ أَجوَدَ العربِ انتقاداً [انتقاءً] للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعًا وأبيَنَها إبانةً عما في النفس". نلاحِظُ أنَّ السيوطي (١٤٤٥ – ١٥٠٥ م) نقلَ ما فَهِمَه عن الفارابي (٨٧٢ – ٩٥٠ م) في *الألفاظ والحروف* وأضاف قُريشاً من عِندِه. فالفارابي لم يَذْكُرْ قُريشاً بل قال في مَعْرِض كلامِه عن "صِناعة عِلْمِ اللِّسان" [تقعيد اللسان وصناعة لُغة معيارية]:

"وأَنتَ تتبيَّنُ ذلك متى تأمَّلْتَ أمْرَ العربِ في هذه الأشياء. فإنَّ فيهم سُكَّانُ البراري وسكّانُ الأمصار. وأكثرُ ما تشاغلوا بذلك من سَنَةِ تسعين إلى سنةِ مِئتَين [٧٠٨ – ٨١٥ م]. وكان الّذي تولَّى ذلك من بين أمصارهم أهلُ الكوفة والبَصرة من أرض العِراق. فتعلَّموا لُغتَهم والفَصيحَ منها من سُكّان البراري منهم دُوْنَ أَهلِ الحَضَرِ، ثمَّ من سكّان البراري مَن كان في أوسط بلادهم ومن أشدِّهم توحُّشاً وجفاءً وأبعدَهم إذعاناً وانقياداً، وهُمْ قيسٌ وتميمٌ وأسَدٌ وطَيِّءٌ ثمَّ هُذَيل، فإنَّ هؤلاءِ هُمْ مُعظَم مَن نُقِلَ عنه لِسانُ العَرَبِ. والباقون فَلَمْ يؤْخَذْ عنهم شيءٌ". (*الألفاظ والحروف*، ص ١٤٦–١٤٨)

وبحسب ابن عبد البر [ت. ١٠٧١] (في *التمهيد*): "نَزَلَ بلغة قُريش معناه عندي: الأغلب؛ لأنَّ غَيرَ لُغةِ قُرَيشٍ موجودة في جميع القراءات، من تحقيق الهمزة ونحوها، وقُرَيش لا تَهمِز". (*المُزهر*، السيوطي، النوع ٣٧، ص ٢٨٧)

إذاً، كانت لَهْجة قُرَيشٍ على ما يبدو لغةً هجينةً، لأنها كانت تستقبل الحُجَّاج فـ***تختارُ*** أحسنَ لغاتِهم، ولذلك أصبَحَتْ لُغة مُهيمِنةً، وبالتالي رُبَّما ساهَمَتْ أكبرَ مساهمةٍ في صناعة لُغة معيارية (لغة مشترَكة، لغة وسيطة، لغة تعامُل، لغة شائعة، لغة تواصُل، lingua franca، langue véhiculaire، koinè، langue-toit). وبالتالي فإنَّ لَهْجة قُرَيشٍ لَمْ تتحوَّلْ إلى لُغة رسيمة مشترَكة (koinéisation)، أيْ: لَمْ تَتَفَصَّحْ، بل إنَّ اللغة الرسمية المشترَكة (المُسمَّاة بـ«العربيَّة» [الفُصحى]) هي تقاطُعُ عِدَّةِ لهَجاتٍ أهمُّها لهجاتُ قَيسٍ وتَميمٍ وأسَدٍ وطَيِّءٍ، بحسب الفارابي. فقُريشٌ، على ما يبدو، وبحكم تواصُلها مع كلّ القبائل، استبعدَت الخصائصَ اللغوية المحلية [الإقليمية] التمييزية. قال ابن جِنِّي: "ارتفعت قُريشٌ في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجُّع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بَهراء. (*الخصائص*، ج٢، ص ١٣)

ويشير اللغوي المصري أحمد عَلَم الدين الجندي (١٩٢٤ – ٢٠١٥) إلى سبب آخر غير الفصاحة جَعَلَ صُنَّاعَ العربية يفضِّلون لَهجة قُريشٍ فيقول: "فلأنهم كانوا يحترمون لهجةَ قُريشٍ لمكان النبي صلّى الله عليه وسلّم منها، جَمَعوا لهجتَها وتركوا ما سواها، فإنِ انحرفوا عن طريقتهم وسجّلوا لَهجةً غيرَ قُرشيةٍ طالعَتكَ قوائمُ أوصافِهم لهذه اللَّهَجات من مِثلِ قولِهم: «لُغة رديَّة أو لُغة شَنعاء» أو «هذلية شاذّة» أو لُغة «ضعيفة ورديئة» أو قليلة أو «خبيثة»." (*اللهجات العربية في التراث*، ص ١١٧) فلَهْجةُ قُريشٍ هي لغة الحاكم ولُغة النُّخبة.

فمِن اللهجات غير القُرشية في القرآن، نَجِدُ **الـهَمْزَ** (وهي لَهجة تَميم، لأَنَّ تَميماً أَهلُ نَبْرٍ [هَمْز]، بينما قُريش أهلُ لِيْنٍ وتسهيل للهمزة) و**إدغامَ الـمَجزومِ** (لَهجة تَميم) (مثال: "ومَن **يُشاقِّ** اللّهَ" [الحشر، ٤]؛ "مَن **يَرْتَدَّ** منكُمْ عَن دِينِه" [المائدة، ٥٤]). ولكنْ كَثُرَ فكّ الإدغام (لغة الحجاز) في القرآن: "و**لْـيُمْلِلِ** الَّذي عَلَيْه الحَقُّ" [البقرة، ٢٨٢]؛ "فَاتَّبِعُونِي **يُحْبِبْكُمُ** اللَّهُ" [آل عِمران، ٣١]؛ "إِن تَصْبِرُواْ [...] **يُـمْدِدْكُمْ** رَبُّكُم" [آل عِمران، ١٢٥]؛

"**اشْدُدْ** بِهِ أَزْرِي" [طه، ٣١]؛ "وَمَن **يَحْلِلْ** عَلَيْهِ غَضَبِي" [طه، ٨١]). كما نجِدُ كثيراً من المُفرَداتِ مِن لَهَجاتٍ غيرِ قُرَشية (هوازِن وكِنانة وهُذيل وكِنْدة وجُرهُم وغيرِهم).

الهَمز والإدغام هُما لَهجة تَميم، وهي لهجة شَرقية نَجدية ولُغة الشِّعر (لأنَّ تَميماً سَكَنَتْ شمالَ نَجْدٍ في شرق شبهِ الجزيرة العربية)؛ بينما لهجة قُريش هي لهجة غربية حِجازية (لأن قُرَيشاً سَكَنَتْ غَربَ الجزيرة العربية). والقرآنُ وافقَ لُغةَ تَميم في هاتين الناحيتَين. ولذلك قال كارل فولّرس [Karl Vollers] إن القرآن كُتِب أولاً بلَهجة قُرَيش [الحِجازية (الغربية) التي تُخَفِّف الهَمزةَ] ثُمَّ أُعيدَت صياغتُه بلغة الشِّعر [لهجة تَميم الشرقية التي تُثبِت الهمزةَ] (مع التحفُّظ على هذا التقسيم للغات العرب إلى شرقية وغربية[14]). ولكنَّ عالِم اللسانيات العربية پيير لارشيه [Pierre Larcher] يشير إلى أنَّ عربية القرآن ليست العربية الكلاسيكية [المعيارية المَدرسية]. (پيير لارشيه [Pierre Larcher]، « Qu'est-ce que l'arabe du Coran ? Réflexions d'un linguiste » ["ما هي عربية القرآن. تأمُّلات لُغوي"]).

لقد وَرَدَ في كُتُب اللُّغة أنَّ مُعْظَمَ اللسان العربي أُخِذَ مِن أَكثرِ المَسموع مِن سُكَّان البَراري مِن غَيرِ الحَضَرِ البَعيدين عن أطراف الجزيرة العربية، ولَمْ يؤخذ عن حَضَرِيٍّ قَط. وَوَرَدَ أَيضاً أنَّ القُرآن وَافَقَ في مُعظَمِه لَهْجةَ قُرَيشٍ الحَضَرية، وفي هذا تناقُضٌ. فإمَّا أنَّ لُغةَ القُرآنِ واللِّسانَ العَربيَّ لُغتانِ مُختلفتان (وهذا يبدو غَيرَ صَحيحٍ لأنَّ القُرآن كان أَهَمَّ مَرجِعٍ لتقعيدِ اللِّسانِ)، وإمَّا أنَّ قُريشاً نَفسها لَمْ تَكُنْ قَبيلةً مُتجانِسةً ذاتَ لَهْجةٍ واحِدةٍ، فَعَلى الأرجَحِ لَمْ تَكُن في الأساس قبيلةً بالمعنى السوسيولوجي والأنثروبولوجي. فرُبَّما كانت قُرَيشٌ اتِّحاداً أو تَحالُفاً [أو حِلْفاً] لِمَجموعةِ قَبائلَ أو اتِّحاداً مِن مَجموعةِ أفرادٍ من قبائلَ شَتَّى لهم عَمَلٌ واحِدٌ كالتِّجارة،

---

[14] اعترضَ عالِم اللهجات المصري أحمد عَلَم الدين الجندي (١٩٢٤ – ٢٠١٥) على هذا التقسيم اللَّهْجِيّ لِلُغات العرب إلى تميمية وحجازية (أو شرقية وغربية)، وهو تقسيم نادى به كارل فولرز [Karl Vollers] (١٨٥٧ – ١٩٠٩ م) وكريستيان سَرَو [Christian Sarauw] (١٨٦٥ – ١٩٢٥)، قائلاً إنها أسماءٌ مشوَّهة الحدود وإنَّ هاتَين المَجموعَتَين اللُّغويَّتَين تَضُمَّان فُروعاً لَهْجِيَّةً تُخالف لَهْجةَ القبيلة الأُمّ وإنَّ هذا التقسيم الثُّنائي يُهْمِلُ باقي السِّماتِ اللَّهْجِيَّة المَغمورة، وبالتالي لا يُمَثِّل لَهَجاتِ الجزيرة تمثيلاً صحيحاً. (الجندي، أحمد عَلَم الدين، *اللهجات العربية في التراث*، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ٥٥)

أيْ تَجَمُّعاً لتُجَّار قبائل العَرَبِ ("إيلاف قُريشٍ"). والاسم "قُريشٌ" يدلُّ على ذلك (تصغيرُ "قَرْش" : ما جُمِعَ مِن هُنا وهُنا، ويشير إلى التجمُّع والكَسب [التِّجارة]). قال ابن منظور (في *لسان العرب*) : "القَرْشُ: **الجَمع والكسبُ والضَّمُّ من هَهُنا وهَهُنا** يُضَمُّ بَعضُه إلى بعضٍ. [. . .] **وبه سُمِّيَتْ قُرَيشٌ**. وتَقَرَّشَ القومُ: تَجَمَّعوا. وقَرَشَ يَقْرِشُ ويَقْرُشُ قَرْشاً واقْتَرَشَ وتَقَرَّشَ: جَمَعَ واكتَسَبَ."

وحتّى كلمة "الإيلاف" تشير إلى الجَمع بين أفراد وإلى العَهد والأمان. جاء في *لسان العرب* : "وأَلَّفْتُ بينهم تأْليفاً إذا جَمَعْتَ بينَّم بَعدَ تَفَرُّقٍ؛ وأَلَّفْتُ الشيءَ تأليفاً إذا وَصَلْتَ بَعضَه ببعضٍ؛ ومنه تأليف الكتاب. [. . .] ابنُ الأعرابي: أَصحابُ الإيلافِ أربعةُ إِخْوةٍ: هاشِمٌ وعبدُ شمسٍ والمُطَّلِبُ ونَوفَلٌ بنو عبدِ مُنافٍ، [. . .] وكانوا يُسَمَّون المُجِيرينَ، فأَمَّا هاشِمٌ فإِنَّه أَخَذَ حَبْلاً [رِباطاً وعَهداً] مِن مَلِك الرُّومِ، وأخَذَ نَوفَلٌ حَبْلاً مِن كِسْرَى، وأَخَذَ عَبْدُ شَمسٍ حَبْلاً مِن النَّجاشيّ، وأَخَذَ المُطَّلِبُ حَبْلاً مِن مُلوك حِمْيَرَ، قال: فكان تُجَّارُ قُرَيشٍ يَختَلِفون [يَتَرَدَّدون] إلى هذه الأمصار بِحِبالِ هؤلاءِ الإِخْوَةِ فلا يُتَعَرَّضُ لَهم؛ [. . .] والإِيْلافُ: مِن «يُؤَلِّفُونَ» أيْ يُهَيِّئونَ ويُجَهِّزون، قال ابن الأعرابي: كان هاشِمٌ يُؤَلِّفُ إلى الشام، وعَبدُ شَمسٍ يُؤَلِّفُ إلى الحَبَشَة، والمُطَّلِبُ إلى اليَمَن ونَوفَلٌ إلى فارسَ. [. . .] الإِيلافُ: العَهدُ والذِّمام، كان هاشِمٌ بنُ عَبد مُنافٍ أَخَذَه مِن الملوك لِقُرَيشٍ".

هذا "القُرَيْشُ" [التَّجَمُّع الصغير] **المُتَقَرِّشُ** [المُتَجَمِّع] **من الأقوياء اقتصادياً من قبائل العَرَب بهدف التَّقَرُّشِ** [التِّجارة] **كان خُطوةً تجارية واقتصادية ساهَمَتْ في التمهيد لِخَلْقِ لِسان مُنَمَّط وموحَّد من لَهَجات العرب.**

(٢)- الأدب: الشِّعر الجاهليّ وبعض كَلام العَرَبِ: بحسب السيوطي (في *المُزهِر*)، فقد أُخِذَ اللسانُ العربي [مُعظَمُه] عن لغاتٍ: قيسٍ وتميمٍ وأسدٍ. ثم أُخِذَ بعضٌ منه من هُذيل وبعض الكنانيين والطائيين. ولم يؤخَذْ عن حَضَريّ ولا عن سكّان البراري المجاورين للأمم الأخرى (كلَخم وجُذام [جيران مصر والقِبط] وقُضاعة وغسّان وإياد [جيران الشام والنصارى قُرّاء

العبرية] وتَغلب واليمن [جيران اليونان] وعبد القيس وأزدْعُمان [البحرين لاختلاطهم بالهند والفُرس] وأهل اليمن [لاختلاطهم بالهند والحبشة])). كما أنَّ للشِّعر دَوراً كبيراً إلى جانب القرآن في تقريب لُغات العرب والتحضير للغة وسيطة إذْ أن العربي كان يستخدم كلمات من قبيلة أخرى لحاجته في الشعر.

فـ"العَرَبِيَّة" هي لِسان معياري رسمي وَضَعَهُ النُّحاةُ (وهُمْ "أَهْلُ *العربيَّة*"، وهُمْ أهلُ الكوفة والبصرة، بحسب الفارابي) ابتداءً من المشترَك من لغات العرب (اعتماداً على مُنتَجات لغوية مشترَكة هي القرآن والأدب [من شِعر وأقوال سائرة لدى مختلف القبائل العربية])، ليكونَ مفهوماً أكثرَ من كلّ الجماعات التي تشترك فيما بينها بأغلب الظواهر النحوية والمُفرداتية ولِيُتَعَلَّمَ ويُعَلَّمَ كِتابياً من خِلال قواعدَ نحويَّةٍ ("فيُصيِّرون عند ذلك لِسانَهم ولُغتَهم بِصُورةِ صِناعةٍ يمكِنُ أنْ تُتعلَّمَ وتُعَلَّمَ بقولٍ وحتَّى يمكنَ أنْ تُعطى عِلَلَ كلِّ ما يقولون" [الفارابي، *كتاب الحروف*، ص ١٤٨])، ونُعِتَت هذه "العربيةُ" بـ"الفُصحى" (اسمُ تَفضيلٍ، مؤنَّثُ "أَفْصَح" مِنَ الفَصاحةِ، أيْ: الوضوح) أي التي بلغَت أعلى درجةٍ مِن الوضوحِ والمفهومية بين أكبر عدد ممكن من المتكلمين في مختلف المناطق.

فالعربية هي مَصْدَر صِناعيّ[15] يشير إلى التجريد، وليست كلمةُ "العربيّة" صِفةً لِلُّغة، لأنَّهم عِندَ صناعة "العربية" كانوا يستخدمون كلمةَ "لِسان" للتعبير عن اللغة المُقَعَّدة العابرة للهَجات

[15] المَصدَر الصِّناعي: مَصدَر قياسي يُشْتَقُّ بإضافة ياء مشدَّدة وهاء تأنيث في آخِرِه ليُصبِحَ اسماً يَدُلُّ عَلى معنًى مُجرَّدٍ. أمثلة: "إنتاجيَّة"، "قوميَّة"، "جاهليَّة"، "عَلْمانيَّة"، "اشتراكيَّة"، "جَبْريَّة"، "مَوضوعيَّة"، إلخ. وقد وَرَدَ مُصطلَح "المَصْدَر الصِّناعي" قَليلاً في مصنّفات اللُّغويين القُدامى تحت اسم "مَصْدَر". فقال الخليل الفراهيدي عن "اللصوصيّة" بأنّها مصدر "اللصّ". وذكره سيبويه: "الجَبريَّة مَصدر الجَبر". وسمّاه كلٌّ من الفَرَّاء والأزهري وابن دُرُستُوَيه وابن قُتيبة بـ"المَصدر". وربَّما أوَّلُ مَن أَطلقَ عليه لَفْظَ "المَصدر الصناعي" هو اللُّغَويُّ المصري الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاويّ (١٨٥٦ – ١٩٢٨)، حيث قال: "يُصاغ من اللفظ مَصدر، يُقال له المَصدر الصناعي، وهو أنْ يُزادَ على اللفظة ياءٌ مُشدَّدة، وتاء التأنيث، كالحريّة، والوطنيّة، والإنسانية، والهمجيّة، والمدنيّة." (الحملاوي، *شذا العرف في فن الصرف*، دار الكيان، الرياض، ص ١٢٠؛ ودار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩٣) وقد أشار الفيلسوفُ الفارابي (ت. ٩٥٠ م) إلى المَصدَر الصناعي بأنَّه أحد ضَرَبَيْ المَصادرِ ("ضَرْبٌ مِثلُ: «العِلْم» في العربية وضَرْبٌ مِثْلُ: «الإنسانية»"): "فَـ«الأَبْيَضِيَّة» و«الأَسْوَدِيَّة» و«الظَّنِّيَّة» و«العالِمِيَّة» و «المُثَلَّثِيَّة» و«المُدَوَّرِيَّة» هي أَشْبَهُ بِـ«الإِنسانيَّة» و«الرُّجُولِيَّة»

(بينما استخدموا كلمة "اللغة" للدلالة على "اللهْجة")، فلو كانت "العربيَّة" صِفةً لاستخدموها مُذكَّرةً (كصفةٍ لِلِّسانِ). وتدلُّ "العربيةُ" على لغة مُقَعَّدَة مُجرَّدة تتجاوز اللهَجات، فقد أشار النُّحاةُ إلى كلام العرب بضمير الغائب، بحسب جورجين أيُّوب ("قالت العربُ"، "لُغتهم"، إلخ.). وضميرُ الغائبِ هو ضميرٌ لاشخصيّ بحسب إيميل بينڤينيست (١٩٠٢–١٩٧٦) (Émile Benveniste). لُغةُ العَربِ هي كلامُ الغائب، لغة القانون، الكلامُ المُجَرَّد، المُتعالي (transcendante)، المُقَعَّدُ المُدوَّن (codifiée)، اللازمني. بينما اللغة الْحَيَّة يُشار إليها بالمُتكلِّم (énonciateur) والمُخاطَب (destinataire).

وكخُطوة أخيرة في تقعيد اللسان العربي المعياري، وَضَعَ النُّحاةَ حركاتِ الإعراب [التشكيلَ] كزينةٍ وتحسين لسهولة وصل الكلمات.

ففي مقابل فرضية التطور الخطي للعربية من الكمال إلى الفساد، ومن اللغة المُعرَبة إلى فُقدان حركات الإعراب، هناك باحثون يَرَونَ أنَّ حركاتِ الإعراب من وضع النحاة وليست أصيلةً في اللغة العربية ولا هي من طبيعة اللغة. إذْ أنَّهم يَرَونَ أنَّ العربية لم تكن تمتلك نظاماً إعرابياً ولا حركاتٍ منذ ظهور الإسلام بل وحتّى قبلَ الإسلام. هذا ما ذَهبَ إليه كثير من الباحثين، مِثل: الفنلندي جورج أوغست ڤالين [Georg August Wallin] (١٨١١ – ١٨٥٢)، والألماني "كارل فولَّرس" [Karl Vollers] (١٨٥٧ – ١٩٠٩ م)، ورائد الدراسات اللغوية الباحث المصري "إبراهيم أنيس" (١٩٠٦ – ١٩٧٧ م)، والباحث السويدي "يان ريتسو" [Jan Retsö]، وأستاذ اللسانيات العربية في جامعة بايرويت في ألمانيا "جوناثان أوينز" [Jonathan Owens]، والباحث الفرنسي أستاذ اللسانيات العربية في جامعة آيكس–مرسيليا "پيير لارشيه" [Pierre Larcher]،

مِنْ شَبَهِها بـ«العِلْم» و«السَّواد» و«البياض». فإنَّ «العِلْم» و«السَّواد» و«البياض» إنَّما تَدُلُّ على معاني هذه مُجَرَّدَةً مُفرَدة عن كلّ موضوع وكلِّ ما يُقرَن به في موضوعِه. وأمَّا «الأَبْيَضِيَّة» و«الأَسْوَدِيَّة» فكأنَّها تدلُّ على هذه المعاني مِن حيثُ هي في موضوعِها ومِن حيثُ هي غيرُ مُفارِقةٍ موضوعَها." (*كتاب الحروف*، ص ٨٠) ثمَّ فَصَّلَ الفارابي أكثرَ حول المَصدَر الصناعي في مَعْرِض كلامِه عن «الهُوِيَّة»: "فإنَّ هذا الشكلَ في العربية هُوَ شَكْلُ مَصْدَرِ كُلِّ اسمٍ كان مِثالاً أوَّلاً ولَمْ يَكُنْ له تصريف، مثل: «الإنسانيَّة» مِن «الإنسان» و«الحِماريَّة» مِن «الحِمار» و«الرُّجوليَّة» مِن «الرَّجُل»." (*كتاب الحروف*، ص ١١٢)

والإيطالي "جوليانو لانسيوني" [Giuliano Lancioni]، والفرنسي "مانويل سارتوري" [Manuel Sartori] (جامعة آيكس–مرسيليا)، وغيرِهِم. ومن الباحثين من رأى أن اللغة الأم للعربية كانت تمتلك حركاتٍ إعرابيةً ولكنْ فقدَتْها عند ظهور الإسلام، ومنهم أحمد الجلاَّد [Ahmad Al-Jallad] ومحمد الشرقاوي [Muhammad Al-Sharkawi] (جامعة وَين ستَيت في ديترويت ميشيجان بالولايات المتحدة).

إنَّ أوّل من قال بهذا الرأي من القدماء هو قُطرُب (المتوفَّى سنة ٨٢١ م) (أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد البصري، أحد تلاميذ سيبويه) حيث رأى أنَّ الحركاتِ وُضِعَت فقط لوصل الكلام وسلاسة النطق وعدم التقاء ساكنَينِ والفصل بين الصوامت ولا علاقة لها بـ"**الإعراب**" الذي يعني أصلاً: **إيضاح الكلام وتبيينه** فقط. لقد شَرَح مُعجَمُ *لسان العرب* معنى "أعرَبَ" بمعنى "أَوضَحَ": « ورُوِيَ عن النَّبيّ [. . .]: "الثَّيِّبُ **تُعْرِبُ** عن نفسِها"، أيْ **تُفْصِحُ**. [. . .] وقال الأزهري: "**الإعرابُ** و**التَّعريبُ** معناهما واحد، وهو **الإبانة**"؛ [. . .] وإنَّما سُمِّيَ الإعرابُ إعراباً لتبيينه وإيضاحِه؛ [. . .] وفي حديث السَّقيفة: **أَعرَبُهم** أحساباً أيْ **أَبْيَنُهم** و**أَوضَحُهم**. ويُقال: "**أَعرِبْ** عَمَّا في ضَميرِكَ" أيْ **أَبِنْ**. » وقد نُسِبَ إلى عُمَرَ قولُه: "تَعَلَّموا **إعرابَ** القُرآنِ كما تتعلَّمون حِفظَه" (*إيضاح الوقف والابتداء*، الأنباري، ص ٣٤). والمقصود هنا نُطْقُه بوضوح، أيْ: التحقق من مخارج حروفه، وليس المقصودُ حركاتِ الإعراب التي لم تكن قد وُضِعَت بعدُ.

وقد قال قُطرُب إنّ الكلام لَم يُعرَبْ للدلالة على المعاني والفَرق بين بعضها بعضاً، لأننا نجد في كلام العرب أسماءً متَّفقة في الإعراب مختلفة المعاني وأسماء مختلفة في الإعراب متفقة في المعاني. فلو كان الإعراب قد دخلَ الكلام للفَرق بين المعاني لوجبَ أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ولا يزول إلا بزواله. وإنما أَعربَت العربُ كلامَها، بحسب قُطرب، لأنَّ الاسم في حال الوقوف يلزمه السكونُ للوقوف، فلو جَعَلوا وَصْلَهُ بالسُّكون أَيضاً لكانَ يَلْزَمُه الإسكانُ في الوقف والوصل، ولكانوا يُبْطِئون عند الإدراج، فلمَّا وصلوا وأمكنَهم التحريكُ جَعَلوا التحريكَ مُعاقِباً للإسكان لِيَعتدِلَ الكلامُ. وعندما سُئل قُطرُب لماذا لَمْ يَلْزَمِ العَرَبُ حَرَكةً واحدةً لأنها مُجْزِئةً لهم

إذا كان الغرضُ هو حَركةً تَعقِبُ سُكوناً، قال: لو فعلوا ذلك لضيّقوا على أنفسهم فأرادوا الاتِّساعَ في الحركات وألاَّ يُضَيِّقوا على المتكلِّم. (الزَّجَّاجي، *الإيضاح*، ص ٧٠)

وقد أشار الزّجاجيّ (المتوفَّى سنة ٩٥٢ م) إلى "أسبقية الكلام على الإعراب"، فـ"الإعراب عَرَضٌ داخِلٌ في الكلام لمعنى يوجِده ويدلُّ عليه"، بمعنى أنَّ الكلام بدون إعراب لا يختلّ معناه. فالاسمُ (نَحوَ: "زيد" و"محمَّد" و"جَعفر") لا يزول عنه معنى الاسميَّة إن كان غيرَ مُعْرَبٍ. وكذلك الفعلُ (نَحوَ: "يَقوم" و"يَذْهَب" و"يَركَب") لا يزول عنه معنى الفعلية مُعرباً كان أو غَيرَ مُعْرَبٍ. (*الإيضاح*، ص ٦٧) وهذا يعني أن حركات الإعراب ليست أصيلةً في الكلام.

وأضاف الزَّجَّاجي أنَّه يمكن أن يكون الإعرابُ قد أُضيفَ لاحقاً، فقال: "وقد أجاز بعضُهم أن تكون العرب نطقَت أولاً بالكلام غيرَ مُعرَب، ثم رأت اشتباهَ المعاني فأعربَتْه" (*الإيضاح*، ص ٦٩). وقد أشار الزّجاجيّ إلى الهدف من وضع حركاتِ الإعراب فقال: "ليَتَوَسَّعوا في كلامهم ويقدّموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركاتُ دالَّةً على المعاني" (*الإيضاح*، ص ٧٠). ويُفهَم من كلام الزَّجّاجيّ أنه موافق على أنَّ حركاتِ الإعراب قد وَضَعَها النُّحاةُ أو العَرَبُ، ولكنْ يَختلِف عن قُطرب في أنَّ هذه الحركاتِ تُفيد في المعنى، بينما يرى قُطرب أنَّ الغرضَ صوتيٌّ بَحتٌ.

وحتّى سِيبوَيهِ (المتوفَّى سنة ٧٩٦ م، وهو تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي [ت. ٧٨٦ م] الذي كان تلميذاً لأبي عَمروٍ بن العَلاء مُؤَصِّل "العربية" [ت. ٧٧٤ م]) أشار إلى أن الحركات زوائد لوصل الكلمات ببعضها حيث قال في *الكتاب*: "وزعم الخليل أنَّ الفَتحةَ والكَسرة والضَّمَّةَ زَوائدُ يَلْحَقْنَ الحَرفَ لِيُوصَلَ إلى التكلُّم به". وليس هدفُ الحركاتِ الوصلَ فقطْ، بل هي زينة للكلام أيضاً، كما تؤكد الملاحظة المنسوبة لمالك بن أنس: "الإعراب حِلِيُّ اللِّسانِ فلا تَمْنَعوا أَلسِنَتَكم مِن حِلِيِّها". (الزُّبَيديّ، *طبقات النحويين واللغويين*، ص ١٣.)

فالنحاة الأوائل لم يُنكِروا أنْ تَكونَ الحركاتُ الإعرابية قد أضيفَت فيما بعدُ ولكنهم يختلِفون في سبب الإضافة: هل أضيفَت لحاجة المعنى أم لسهولة النطق.

لقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس (في كتابه *من أسرار العربية*، ص ١٨٣) إلى أنَّ ظاهرة الإعراب [حركات أواخِر الكلمات] قد حِيكَت وتَـمَّ نَسجُها حياكةً مُحكَمةً في أواخِرِ القرنِ الأول الهجري أو أوائل الثاني، على يد قومٍ من صُنَّاعِ الكلامِ نشأوا وعاشوا مُعظَمَ حياتِهم في البيئة العراقية. وكان لصُنّاع الكلام [النحويين] سلطان عظيم فرفضوا الاستشهاد بأحاديثَ نبويةٍ بحُجَّة أن رُواتَها يَـلْحَنون [يُخْطِؤون في الإعراب] ورفضوا قراءاتٍ قرآنيةً قويةَ السَّنَدِ لأنها لا تنسجم مع قواعدهم الإعرابية واعتبروها قِراءاتٍ شاذَّةً. وفرضوا قواعدَهم على قُرَّاء القرآن وعلى فحول الشعراء. حتَّى جاء ابنُ مَضاء القُرطُبي الأندلسي (١١١٦ – ١١٩٦) فهاجَمَ النُّحاةَ في كتابه: *الرَّدُّ على النُّحاة*، ودعا إلى إلغاء نظرية العامل التي هي أساس الإعراب [مثال: عامل الرفع في الفعل المضارع هو تَجَرُّدُه من الناصب والجازم]. ويرى إبراهيم أنيس (ص ٢٠٢) أن المستشرقين رُبَّما ظَنُّوا أنَّ حَرَكاتِ الإعراب العربية هي من بقايا اللغات الساميَّة فراحوا يبحثون عن جذور الإعراب في اللغات القديمة. ولكنَّ الحقيقة هي أن النحاة ابتكروا قواعدَ الإعراب وفرضوه. وقدَّم أنيس الأدلَّةَ التالية:

١– الوقف على ساكن يدلّ على أنَّ حركاتِ الإعراب للوصل بين الكلمات فقط ولِمَنع التقاء ساكنَين ولتحقيق طلاقة في النطق كما أشار قُطْرُب منذ القرن التاسع الميلادي. فإذا وقفنا على كلمة فلا حاجةَ لتحريكِ آخرِها، مما يعني أنَّ الحركةَ زائدةٌ وَصْلِيَّة وليست أَصيلةً ذاتية. إننا نُحَرِّكُ آخِرَ الكلمةِ فقط في دَرج الكلام. وقد تَدَخَّلَ عاملان في تحديد الحركة للتخلص من التقاء الساكنين، هما: أيثار بعض الحروف لحركة معينة (كإيثار حروف الحلق للفتحة مثلاً)، والميل إلى تجانس الحركات المتجاورة. كما أنَّ تحريك أواخر الكلمات ضروري موسيقياً في الشِّعر. وقد يُضطَرُّ الشاعِر إلى تسكين كلمةٍ مُحرَّكة لضرورة موسيقية، كقوله:

"–وأشربُ الماءَ ما بي **نَـحوَهُ** عَطَشٌ * إلاَّ لأَنَّ **عُـيُـوْنَـهْ** سالَ واديها."

["**نَـحوَهُ**" بإشباعِ الهاء و"**عُـيُـوْنَـهْ**" بإسكانِها]. (الشاهد من *المُزهِر*، ج١، ص ٢٦٢.)

٢– ليس للحركة الإعرابية مدلول وليست جزءاً من بنية الكلمة كما ظَنَّ ابن مَضاء، فلا تَدُلُّ الحركاتُ الإعرابية على فاعلية أو مفعولية أو اضافة أو غير ذلك. فمثلاً: حركة تنوين الجَرِّ (ـــٍ) تشير إلى الجر والنصب والرفع: فكلمةُ "مُعَلِّـــمٍ" مجرورة بالكسرة، بينما "مُعلّماتٍ" منصوبة بالكسرة، و"قاضٍ" مرفوعة ولكنَّ آخرَها كَسرة. وإذا كان التنوين علامةُ التنكير فما سَببُ تنوينِ الاسم العَلَمِ وهو مَعرِفة؟ فالفاعل والمفعول يُعرَفانِ بمكانهما من الجملة لا بحركة آخرِهما. أيْ أنَّ مكانَهما ثابت في الجملة إلاَّ في بعض السياقات الخاصة (كالحَصر وطول الفاعل أو اشتماله على ضمير يعود على المفعول). وفي الشِّعر والقرآن يمكن تأخير الفاعل لضرورة القافية الشِّعرية أو الفاصلة القرآنية.

٣– سَمِعَ النُّحاةُ الأُوَلُ حركاتِ أواخرِ الكلمات (مِن ضَمٍّ حيناً وكَسْرٍ حيناً وفَتْحٍ في كثيرٍ من الأحيان) فخُيِّلَ إليهم أنَّ وراءها سرّاً يرتبط بالمعاني. ففَسَّروها على أنها علاماتٌ على الفاعلية والمفعولية وغيرهما، في حين أنها لا تعدو أنْ تَكونَ حركاتِ وَصلٍ بين الكلمات. وحين ظَنُّوا أنها حركاتٌ إعرابية استخدَموها في أواخر الكلمات التي لا داعي لتحريكها حَتَّى تَطَّـرِد قواعدُهم، فقالوا مثلا: "الرَّجُـلُ قائِـمٌ" (بِضَمِّ اللام من "الرجل" وضمّ الميم من "قائم")، وكان يكفي أن يقال: "الرَّجُـلْ قائِـمْ" (بتسكين اللام والميم إذْ لا ضرورة لتحريكهما)، دون أن يُخِلَّ التسكينُ بالفصاحة (الوضوح).

٤– أما المعرب بالحروف (كالأسماء الخمسة والمُثنَّى وجمع المذكَّر السالم)، فكانت صِيَغُه موزَّعةً بين القبائل بحيث أنَّ كُلَّ قَبيلةٍ كانت تَلتَزِمُ صيغةً مُحدَّدةً. ولكنَّ النُّحاة جَمَعوا كل هذه الصيغ، وخصُّوا كلَّ صيغة منها بحالة إعرابية معينة. (إبراهيم أنيس، *من أسرار العربية*، ص ٢٥٤ وما بعدها).

إننا ما زِلْنا نرى رواسبَ وبقايا من التوزُّع الحَركاتيِّ في اللَّهَجات العربية المعاصرة بحيث تكون الحركةُ ثابتةً في اللَّهْجة الواحدة. فعلى سبيل المِثال، هُناك لَهَجاتٌ يُلْفَظُ فيها ضَميرُ

المُتكلِّمُ المُفرَد بفتحِ آخرِه، هكذا: «**أَنَـا**»، وهي اللَّهَجاتُ الغالبة واللُّغةُ المِعيارية [الفُصحى]. بينما يُلفَظ في لَهَجات أخرى بكسرِ آخرِه: «**أَنِـي**» [أو «**آنِـي**»] (وكذلك في العبريَّة أُخْتِ العَرَبيَّة). ويُلفَظ في بَعض لَهَجات شَمال العِراق وسوريّةَ المُتأثِّرة بالسريانية والآرامية والطورانية بالضَّمِّ: «**أُنُـو**» [«**أُونُـو**» / «**إِنُـو**»]. وضمير المُتكلِّم الجَمع له ثَلاثُ حركات في اخرِه بِحَيثُ تَلتزِم كلُّ لَهْجةٍ بِحركةٍ: «**نَحْـنُ**» (بالضَّم) (في الفُصحى [المِعيارية])؛ و«**نَـحْـنَ**» (بالفتح)؛ و«**نِـحْـنِ**» (بالكسر)؛ وقد يُسَكَّنُ آخرُه في لَهَجات أُخرى: «**نِـحْـنْ**».

فالأَلِـفُ والياءُ والواوُ والفَتحةُ والكَسرةُ والضَّمَّةُ هي حَركاتٌ ولكنَّها لَيست حركاتِ إعرابٍ، أَيْ لَيس لها وَظيفةٌ إعرابية.

فإبراهيم أنيس يَرى أنَّ النُّحاة هُم مَن صَنعوا حركاتِ الإعراب، بينما يَنسبُها قُطرُبٌ إلى العَرَب لغرض صوتي. ويبدو أنَّ الرأيَين صحيحان. فالحركاتُ كانت موجودةً متفرِّقةً بين لُغات العرب، والنُّحاة استثمروها وقَعَّدوها وأَصَّلُوها ليجعلوا من العربية الموحَّدة لِساناً «كريماً» [«شريفاً»] يُضاهي اللاتينية واليونانية، كما أشار مانويل سارتوري" [Manuel Sartori] (في مقاله: « La flexion désinentielle et l'arabe. État de la question et discussion d'arguments récents », [" حركات الإعراب والعربية. عرض الموضوع ومناقشة الحجج الأخيرة"] (٢٠١٨)).

ولكنْ قد يعترض البعضُ على الباحثين ("ڤالين"، و"فولَّرس"، و"إبراهيم أنيس"، و"أوينز"، و"ريتسو"، و"لارشيه"، و"لانسيوني"، و"سارتوري" وغيرِهم) بالقول إنَّ كتُب اللغة قد أوردَت أنَّ مِن قبائلِ العرب من كان لديه إعرابٌ في أواخر الكلمات ثابتٌ غالباً في كل لغة [لهجة]. فهذيل، مثلاً، كانت تُعرِب اسمَ الموصول "الذين" إعراب جمع المذكر السالم، فيقولون: "نَحْنُ الَّذُونَ صَبَّحوا الصَّبَاحا، * يَوم النُّخَيلِ غَارَةً مِلحاحا." (يُنسَب لليلى الأخيلية). وفي لغة تميم يَنصبون تمييزَ "كَم" الخبرية مفرداً (فيقولون: "كم درهماً!"، و"كم عبداً!".)، بينما في لغة غيرِهم يجب جَـرُّه ويجوز إفراده وجمعه (فيقال: "كم درهمٍ عندَك!"، و"كم عبيدٍ ملَكْتَ!".). وفي لغة الحجازيين يُنصَب الخبرُ بعد "ما" النافية (نحو: "ما هذا بشراً")، بينما تميم يرفعونه.

وفي لغة أهل العالية ينصبون الخبر بعد "إنْ" النافية، (مثل: "إنْ أَحدٌ خَيراً من أحدٍ إلا بالعافية."). والحجازيون يَنصبون خبر "ليس" مطلقاً، وبنو تميم يرفعونه إذا اقترن بـ"إلاَّ"، فيقول بنو تميم: "ليس الطيبُ إلاَّ المِسكُ". وفي لغة بني أسد يَصرفون ما لا ينصرف فيما عِلَّة منعِه الوصفية وزيادة النون (فيقولون: "لستُ بِسكرانٍ"). والحجازيون يَبنون الأعلام التي على وزن "فَعال" (كـ: "حَذامِ" و"قَطامِ") على الكسرِ في كل حالات الإعراب، بينما تميم تُعربها ما لم يكن آخرها راءً وتمنعها من الصرف للعَلَمية والعدل، فإذا كان آخرها راءً (كَـ"وَبارِ" [اسم قبيلة بائدة] و"ظَفارِ" [اسم مدينة]) فتكلَّموا بها كالحجازيين.

لا يُنكِر إبراهيم أنيس وجودَ هذه الحركات في أواخر بعض الكلمات. فهو يؤكِّد بأن الظواهر الإعرابية كانت قد استمدَّت خيوطَها من ظواهرَ لغويةٍ مُتناثرةٍ بين قبائل الجزيرة العربية (*من أسرار العربية*، ص ١٨٣). ولكنّه يشير إلى أنّ كل قبيلة كانت تلتزِم في لهجتها بحركة محدَّدة ثابتة لا تتغيَّر تِبعاً لتغيُّرِ محلِّ الكلمة في الجملة. مما يعني أنَّ هذه الحركات ليس لها وظيفة إعرابية نحوية، بل صوتية فقط، فلا تشير إلى فاعل ولا إلى مفعول. وبالتالي لَمْ يَكُنْ هناكَ إعراب في لُغاتِ العرب، بمعنى أنهم لم يَكُونوا يُغَيِّرون حركةَ آخرِ الكلمةِ بتغيير مَوقِعِها مِن الجملة.

ويوضح الباحث جواد علي (١٩٠٧ – ١٩٨٧) (في *المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج ٤): «وتوحي الأحاديثُ الواردة في الحَثِّ على إعراب القرآن والكتبُ التي ألَّفها العُلماءُ في إعرابه أنَّ مِن العَربِ، مِن أهلِ مَدَرٍ [الحَضَر] وأهلِ وَبَرٍ [البدو]، مَن كان يَقرأُ القُرآنَ بِغير إعراب، **إمّا لأنَّ لغته لم تكن معربةً، وإمّا لأنَّ إعرابَها كان لا يتُجانس مع إعراب القرآن**، وسببه أنّ الجاهليين لم يكونوا يتقيدون جميعاً بقواعد الإعراب، فمنهم من كان يتحلَّل منه، ومنهم من يعمل به وفق قواعدِ لغتِه ولهجته، ودليلُ ذلك قراءةُ الصحابةِ القرآنَ بألسنتهم، مما سبَّبَ في ظهور مشكلة القراءات، و هذا ما أخاف الصحابةَ، وجعلها تَخشى من احتمال ظهور قَرائين مختلفة، مِمَّا حَملَ "عثمانَ" على توحيد لغة القرآن، وتدوين كتاب الله حسب التوصيات التي أعطاها إلى اللَّجنة التي كلَّفها بتدوينه.» ("المَدَرُ": الطِّين اللَّزِجُ المتماسك، و"أهل المَدَر": سُكّان البيوت المبنيّة [الحَضَر]، بخلاف "أهل الوبَرِ" وهُم سكّان الخِيام [البدو]).

ربما بسبب كون الحركات ليست من طبيعة العربية ولا من سليقة العرب (أو على الأقل أنَّ لُغات العرب تخلَّت عنها منذ أكثر من ألف وأربعمئة عام وتتطوّر باتجاه التسهيل والتخفيف) فإنَّ هذه الحركاتِ بقيَت غريبةً ولَمْ تُستخدَمْ في الكتابات الرسمية إلاَّ في حالة الضرورة.

فـ"العَرَبِيَّةُ" الـمُزيَّنة بحركات الإعراب ليست الأصلَ الذي تفرَّعَت عنه اللَّهَجات من خلال سيرورة تَـقهقُرٍ سُمِّيَت "فَسادَ اللغةِ"، بَـلِ العكسُ، إنها بِناءٌ [نِظام لُغوي] مُستقِلّ بُنِيَ مِن عناصرَ موجودةٍ في هذه اللهَجات. (پيير لارشيه [Pierre Larcher]، « Qu'est-ce que l'arabe du Coran ? Réflexions d'un linguiste » ["ما هي عربية القرآن. تأمُّلات لُغوي"]). إنَّ فرضية التطوُّرِ الـخَطِّيّ للعربيَّةِ مِن الكمال إلى الفَساد مَعيبة وغَير علمية. لقد انتقد أحمد عَلَم الدين الجندي نظرةَ النُّحاةِ الأوائل المتمثِّلة في فساد اللغة فقال: "كما كان علماء العربية ينظرون إلى اللَّـهَجات على أنها نوع من الانحطاط اللغوي، وغاب عنهم أن ما يسمونه «انحطاطاً» هو في الحقيقة تطوُّر لُغويّ، وها هو ابن حَزم يُنكِر تَفضيلَ لَهجة على لَهجة أخرى: «وقد توهَّمَ قومٌ في لغتهم أنها أفضل اللغات... وهذا لا معنى له... لأن وجوه الفضل معروفة... وإنما هي بعملٍ أو اختصاص، ولا عملَ للُّغةِ»." (الجندي، *اللهجات العربية في التراث*، ص ١١٧).

ومِـمَّا يُشير إلى أنَّ "العَرَبِيَّة" بِناءٌ لِسانيّ مُستقِلّ عن اللهَجات ما قاله اللُّغويُّ العِراقيُّ الكُوفيُّ ابْـنُ شُبرُمةَ (القَرن الثامن) ناصحاً أبناءَ العرب أن يتعَلَّموا العربيةَ: "إذا سرَّكَ أنْ تَعظُمَ في عينِ مَن كُنْتَ عِندَهُ صغيراً ويَصْغُـرَ في عينكَ مَن كان عِندكَ عظيماً فتَعَلَّمِ العربيَّةَ، فإنها تُـجريكَ على الـمَنطِقِ وتُدْنِيكَ مِن السُّلطانِ." [16]

[16] ابن شمس الخلافة، جعفر بن محمد، *الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة*، ص ١١، نسخة المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/5433/11.

ابتداءً من ثَراءٍ لَهَجاتيٍّ هائلٍ يُمْكِنُ أنْ يُقالَ فيه كلُّ شَيءٍ[17]، صَنَعَ النُّحاةُ لُغةً جديدةً سَمَّوها "العربيَّة"، لُغةً مُختلفةً عن لَهَجات قَبائل العَرب، مُتجانسةً، معياريَّةً، مُوحَّدةً، مُتعاليةً (transcendante)، لازَمنيَّةً (atemporel)، ثابتةً لا تَتَغيَّرُ (immuable)، تَجَمَّدَتْ نَحْوِيّاً وتَطَوَّرَتْ مُفرداتياً، وبَقِيَت حَيَّةً. بينما لم تتوقَّف اللَّهَجاتُ عن التطوُّرِ نَحْوياً ومُفرداتياً. لِنَرَ مِثالاً على التطوُّرِ المُعجَميّ (المُفرداتيّ) والثَّبات النَّحْويّ من خِلال المُقارنة بينَ "عَربيَّة" الرَّجَّاز المُخضرَم رُؤْبَةَ بنِ العَجَّاج (توفّي حوالَي ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م) وبينَ "عربيةٌ" الشاعرِ والمُغَنّي اللُّبنانيّ المُعاصِرِ وِلْيَمَ حَسْوانيّ (١٩٣٣ – ٢٠١٩ م). قال رُؤْبَةُ في وصفِ ناقةٍ [على بحر الرَّجَز]:

"– وقاتِمِ الأَعْماقِ خاوِي المُخْتَرَقْ
– تَنَشَّطَتْهُ كُلُّ مِغْلاةٍ الْوَهَقْ
– مَضْبُورَةٍ قَرْواءَ هِرْجابٍ فُنُقْ
– مائِرَةِ الضِّبْعَينِ مِصْلابِ العُنُقْ."[18]

---

[17] أشار عالِمُ اللِّسانيّات ومُنَظِّرُ التَّرجمة [التَّرجماتيّ traductologue] الفرنسي أنطوان برمان Antoine Berman (١٩٤٢ – ١٩٩١) إلى إنَّ العاميّات [اللَّهَجات المَحلّيّة] تقول ما لا تقوله اللُّغاتُ الرسميّةُ [الوسيطة بين اللَّهَجات]، لأنَّ اللَّهْجةَ المَحلّيّةَ أكثرُ حِسِّيَّةً وأكثرُ تصويريّةً وإبداعيّةً من اللُّغة المُثقَّفة. فمثلاً، كَلمةُ «bibloteux» [كُتُبيّ، خاصّ بالكُتُب] في لُغة البيكارد (Picard) [لُغة مَحكيّة رومانيقيَّة قريبة جدًّا من الفرنسية] هي أَبْلَغُ وأكثرُ حِسِّيَّةً وتصويريةً وتقولُ أكثرَ من مقابلتِها الفرنسية: «livresque». ولذلك لا تُترجَم اللغات المحلّيّة فيما بينها، بل اللغات الرسمية فقط. (أنطوان برمان، *La traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain* [*التَّرجمة والحَرْف أو نُزُلُ البَعيد*]، منشورات لُو سُوْيْ [Le Seuil]، باريس، ١٩٩٩، ص ٦٣ – ٦٤.

[18] هذه الأبيات أوردَها السيوطي كشاهد عن الحوشي والغريب من الألفاظ في *المُزهِر*، ج١، ص ٢٣٦. **تَنَشَّطَتْهُ**: قَطَعَتْهُ وأَسْرَعَتْ في قَطْعِه؛ والهاءُ في "تَنَشَّطَتْـه" تَعودُ على الخَرْق [وهو المَفازة الواسعة البعيدة تَنْخَرِقُ فيها الرِّياحُ أيْ تَشتَدُّ على غيرِ استقامة] الخَرْق الذي وُصِفَ في قوله: "وقاتِمِ الأَعْماقِ خاوِي المُخْتَرَقْ" [قاتِم: مُكْفَهِرّ كثير الغُبار. مُخْتَرَقُ الرِّياحِ: مَهبُّها أو مَمَرُّها]. **المِغْلاةُ**: الناقةُ التي تُبْعِدُ الخَطْوَ. **الوَهَقُ**: المُباراةُ والمُسايرة. **مَضْبُورَة**: مجتمعةُ الخَلْقِ، اسمُ مفعول من الفعلِ "ضَبَرَ" الشيءَ "ضَبْرًا": جَمَعَهُ وشَدَّهُ. و"ضَبَرَ" الفَرَسُ: جَمَعَ قوائمَهُ ووَثَبَ. **القَرْواءُ**: طويلةُ الظَّهرِ والسَّنام؛ من الفعل "قَرِيَ" "قَرًا" فهو "أَقْرَى" وهي "قَرْواء"؛ قَرِيَت الناقةُ: اشتدَّ ظَهرُها وطالَ سَنامُها. و"القَرا" هو الظَّهْر أو وَسَطُ الظَّهرِ. **الهِرْجابُ**: من الإبل الطويلةُ الضَّخْمةُ. **الفُنُقُ**: الفَتِيَّةُ الضَّخْمة. **مائرة**: مُتَحَرِّكة، من "مارَ يَمُورُ مَوْرًا" فهو "مائِر": تَحَرَّكَ وتَدافَعَ في اضطرابٍ ذهابًا وجيئةً. **الضِّبْعُ**: ما بين الإبطِ إلى نِصفِ العضُدِ من أعلاها. **مِصلاب**: شديد قويّ صُلْب. و"المِصلاب": القناة والعصا الغليظة في لهجات شمال الجزيرة. **المعنى**: هذا المكانُ الواسعُ الكثيرُ الغُبارِ

وقال وِلْيَمَ حَسْوانيّ بعد أكثرَ من اثنَيْ عَشَرَ قَرناً [على البحر الطويل]:

"وَتَغْفُوْ قَنَادِيْلُ الْمَسَاءِ، وَلَيْلُنَا
مُضِيْءٌ يُرَوِّيْ حُلْمَنَا وَالأَمَانِيَا.
وَنَغْدُوْ وَلَيْلُ الْعَاشِقِيْنَ يَلُفُّنَا
كَأَشْرِعَةٍ بَيْضَاءَ ضَلَّتْ مَوَانِيَا.
ثَوَانٍ وَيَطْوِي اللَّيْلُ مَا كَانَ بَيْنَنَا
كَأَنْ لَيْسَ لَيْلُ الْحُبِّ إِلاَّ ثَوَانِيَا."[19]

فالشاهدانِ يَلتَزِمانِ بقواعدَ نَحْويَّةٍ واحدةٍ. أمَّا على الصعيد المُفرداتيّ فبينهما بَونٌ شاسع.

أنْ تَكونَ "العربية" لِساناً مُستقِلاً مصنوعاً من عدة لهجات وأنْ تَكونَ حركاتُ الإعراب قد ابتكرَها صُنّاعُ العربيةِ فإنَّ هذا ليس عيباً ولا انتقاصاً من العربيةِ في شَيْءٍ. فجهودُهم الجَبَّارةُ في خَلْق لِسانٍ مِعياريٍّ موسيقيٍّ جَميلٍ مُوحَّدٍ ما زال حيّاً أتاحَت تدوينَ تُراث لا يُستهان به.

مَراجع عربية:

1. ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر [ت. ٦٤٦ هـ]، *الكافية في علم النحو*، *والشافية في عِلْمَي التَّصريف والخطّ*، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠.
2. ابن جنِّي الموصلي، أبو الفتح عثمان [ت. ٣٩٢ هـ]، *الخصائص*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ج٢.
3. ابن شمس الخلافة، جعفر بن محمد ابن مختار الأفضلي، أبو الفضل، الملقب مجد الملك [ت. ٦٢٢ هـ]، *الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة*، ص ١١، نسخة المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/5433/11.

الذي يشتدُّ فيه هبوبُ الرياحِ من كلِّ جهةٍ لا يَقطعه بسرعةٍ إلا كلُّ ناقةٍ ذاتِ خُطىً كبيرةٍ في السَّيرِ، ذاتِ جِسمٍ بَدينٍ مجتَمعِ الخَلْقِ وظَهرٍ طويلٍ عالٍ مُشتَدٍّ، ناقةٍ طويلةٍ فتيّةٍ ضخمة، ذاتِ عضلاتٍ قويةٍ عند الإبطين تتحرك بقوة عند السير وذاتِ رقبةٍ شديدةٍ صَلبةٍ.

[19] هذه الأبيات نَشَرها وِلْيَمُ حَسوانيّ في صفحتِه في فيسبوك بتاريخ الاثنين ١٦/١/٢٠١٩.

4. ابن مَضاء القُرطُبي الأندلسي، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد، *الرَّدُّ على النُّحاة*، تحقيق: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧.
5. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت. ٧١٠ هـ)، *لسان العرب*، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨.
6. أنباري (ال–)، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشَّار، (٢٧١–٣٢٨ هـ)، *إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ*، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، مَجمَع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧١، ص ٣٤ — ٣٥.
7. أنيس، إبراهيم، *في اللَّهَجات العربية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩٢.
8. أنيس، إبراهيم، *من أسرار العربية*، «الفصل الثالث: قصة الإعراب»، ص ١٨٣ وما بعدها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦.
9. جندي (ال–)، أحمد عَلَم الدين، *اللهجات العربية في التراث*، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣، ص ٥٥، ص ١١٧–١١٨.
10. حريري (ال–)، القاسم بن عليّ بن محمّد، *دُرَّة الغَوَّاص*، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي عليّ القرني، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
11. حَملاوي (ال–)، أحمد بن محمد بن أحمد، *شذا العرف في فن الصرف*، تقديم وتعليق: محمد بن عبد المعطي، تخريج الشواهد ووضع الفهارس: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، دار الكيان، الرياض، بدون تاريخ، ص ١٢٠. نسخة دار الكتب العلمية، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠١، ص ٩٣.
12. زُبَيديّ (ال–)، أبو بكر محمد بن الحسن، *طبقات النحويين واللغويين*، دار المعارف، ١٩٨٤، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ١٣.
13. زَجَّاجي (ال–)، أبو القاسم، *الإيضاح في علل النحو*، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص ٦٧ – ٧٠.
14. سيوطي (ال–)، جلال الدين، *الإتقان في علوم القُرآن*، النوع ٣٧ ["فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز"] والنوع ٣٨ ["فيما وقعَ فيه بغير لغة العرب"]، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، طبعة أولى، ٢٠٠٨، ص ٢٨٢ — ٢٩٩.
15. سيوطي (ال–)، جلال الدين، *المُزهِر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق: محمّد أحمد جاد المولى بك وعليّ محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ج ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٨٤ — ٢٦٥.
16. صالح (ال–)، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، دار العِلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٢٢.
17. عبد التوَّاب، رمضان، *فصول في فقه العربية*، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة سادسة، ١٩٩٩، ص ٣٧٧ — ٣٧٨.
18. علي، جواد، *المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ط٢، ١٩٩٣ ج. ٤.
19. فارابي (ال–)، أبو نصر محمد بن محمد، *كتاب الحُروف*، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٩٠، ص ٨٠، ص ١١٢، ص ١٤٦ — ١٤٨.
20. مبارك (ال–)، عبد الحسين، *فقه اللغة*، «ظاهرة الإعراب في العربية»، جامعة البصرة، ١٩٨٦، https://almerja.com/reading.php?idm=54357.
21. محمد، زكريا، *نقوش عربية قبل الإسلام*، دار الناشر، الأردن، ٢٠١٥، ص ٧ و٩٥.

مَراجع أجنبية:

1. AL-JALLAD Ahmad & VAN PUTTEN Marijn, “The Case For Proto-Semitic And Proto-Arabic Case: A Reply To Jonathan Owens”, Leiden University, Romano-Arabica XVII, 2017.
2. AYOUB, Georgine, « Le Tout de la langue ou le malheur de l’infini : Une étude de la *Durrat al-Ghawwāṣṣ* de Ḥarīrī. » Dans *Paroles, Signes, Mythes, Mélanges J.-E. Bencheikh*, éd. F. Sanagustin, pp. 67-141. Institut Français d’Études Arabes à Damas, Damas. 2001.
3. AYOUB, Georgine, « Un idiome harmonieux et pur : Le trésor enseveli. » (2003). Dans : *Cent titres à l’usage des bibliothécaires, libraires et amateurs : Poésie de langue arabe*, éd. Jean-Charles Depaule, pp. 29-58. Centre International de Poésie, Marseille, 2003.
4. BERMAN, Antoine, *La traduction et la lettre ou l’Auberge du lointain*, Éditions du Seuil, Paris, 1999, p. 63 - 64.
5. LARCHER, Pierre, « Qu’est-ce que l’arabe du Coran ? Réflexions d’un linguiste. » *Cahiers de linguistique de l’INALCO*, INALCO, 2008, n° 5, 2003-2005 [années de tomaison], pp.27-47. ⟨halshs-00246122⟩.
6. SARTORI, Manuel, « La flexion désinentielle et l’arabe. État de la question et discussion d’arguments récents ». *Case and Mood Endings in Semitic Languages – Myth or Reality? Désinences casuelles et modales dans les langues sémitiques – mythe ou réalité ?,* 2018. ⟨hal-02141828⟩.